(الفصل الثامن)

"يوم وليلة"

استيقظت ناردين فى تمام الساعة السادسة صباحًا، ثم خرجت تتريض كما هي معتادة يوميًا، وكان نور الدين ما زال نائمًا، ثم عادت إلى السكن في حوالي الساعة السادسة والنصف، فدخلت إلى قاعة الطعام وقامت بإعداد وجبتين من الفطور وفنجانين من القهوة، وضعتهما على الطاولة وهي تقول:

- **حسنًا، والآن أكون قد قدمت إليه مقابل ليلة أمس، ونصبح متعادلين؛ حتى لا يكون هو أكرم منى.**

ومع نهاية آخر كلمة نطقتها ناردين كان نور الدين يقف خلفها وهي تحدث نفسها بتلك الكلمات دون أن تشعر بوجوده خلفها؛ فابتسم ثم علق قائلًا:

- شكرا لكِ.

فتفاجأت بصوته الذي أتى من خلفها، وأسقطت فنجان القهوة من يديها من شدة الفزع؛ فلقد أفزعها جدًّا هذا الموقف المفاجئ من نور الدين، ثم التفتت إليه، وفي غضب صرخت عليه قائلة:

- **ما هذا؟ لقد أفزعتني جدًّا، الناس الطبيعيون يصدرون أصواتًا، يعلنون عن وجودهم، لا يتسللون هكذا كاللصوص والاشباح.**

فنظر اليها نور الدين ولم يستطع أن يتمالك نفسه من الضحك؛ فانفجر ضاحكًا على ما أحدثه فنجان القهوة من رتوش على بنطال ناردين؛ فلقد رسم لوحة كوميدية على منطقة الفخذين، ثم تمالك نفسه قائلًا:

- **عفوًا، عفوًا، لا تغضبي لم أكن اقصد إزعاجكِ وإخافتكِ إلى هذا الحد.**

ثم تابع ضاحكًا، وقد ازداد وسامة بتورد وجهه.

- **واضح أنكِ أكرم مني، فلقد استيقظتي مبكرة لتعدي لي الفطور، وأيضًا فنجان القهوة الرائع هذا.**

ثم جلس على الطاولة، وأخذ يتناول الفطور، ويحتسي القهوة في هدوء أعصاب أثار ناردين التي استشاطت غضبًا من أفعاله المستفزة تلك؛ فتركته وغادرت إلى غرفتها لتبدل ثيابها.

فى غرفتها وهي تبدل ثيابها حدثت نفسها قائلة:

- أوف! ما هذا الانسان؟ حقًّا، إنه شخص بشع، بشع.

ثم نظرت إلى المرآة محدثة صورتها قائلةَ:

- **الحقيقة هو ليس بشعًا بمعنى الكلمة، أعنى أنه...**

ثم ابتسمت عندما تذكرت ملامحه الوسيمة وهو يضحك، فتابعت:

- **ليس سيئًا ولكنه أحمقًا، يجب عليه أن يتعلم كيف يتعامل مع الجنس اللطيف.**

ثم نظرت إلى ساعتها وقالت:

- **لقد تأخرت، الساعة تجاوزت السابعة، وعليَّ الذهاب إلى الارض الآن.**

فأتمت ارتداء ملابسها، ثم خرجت مسرعة وهي معتقدة بأن نور الدين قد سبقها إلى الارض، لكنها فوجئت به ينتظرها أمام غرفتها وفي يده فنجان من القهوة جديد وساخن؛ فابتسم قائلًا:

- **قهوتك.**

ومد يده بالفنجان إليها؛ فنظرت إليه في تعجب ثم ابتسمت قائلة:

- **هل هذا تعويض عن فنجاني المسكوب؟ أم أنه اعتذار ممن تسبب فى سكبه؟**

فابتسم نور الدين قائلًا:

- **هذا كرم زائد مني؛ فلقد أردت أن أكون أكثر كرمًا منكِ.**

ثم ضحك؛ فأدركت بأنه يمزح، وبأنه أراد الاعتذار، لكن كبرياءه يمنعه من الاعتراف بذلك، فابتسمت قائلةً:

- **حسنًا، ليكن كذلك، ولكنى لن أستطيع أن أحتسي قهوتي هنا، فلقد تأخرت كثيرًا وأنت أيضًا.**
- **لا يهم، احتسي قهوتكِ على مهل، سوف أقلكِ معي في طريقي إلى الأرض.**
- **كيف ستقلني؟ هل لديك سيارة؟ للأسف أنا ما زلتُ أنتظر إصلاح سيارتي وإرسالها إلى هنا، وما زال أمامها الكثير من الوقت.**

تركها نور الدين تتحدث وذهب خلف السكن ثم عاد ومعه الدراجة البخارية قائلًا:

- **سوف أقلكِ بهذه، ما رأيك؟**

فضحكت "ناردين "على هيئة الدراجة البخارية؛ فلقد كانت قديمة جدًّا وتبدو متهالكة، ثم قالت:

- **أعتقد أنه إذا ذهبت سيرًا على الاقدام فسوف أصل أسرع من هذه.**

وانفجرت في الضحكات، لم يعقب نور الدين على تعليقاتها الساخرة، فلقد كان مشغولًا بالنظر إلى وجهها الجميل وعينيها العسليتين الضاحكتين، وضحكاتها الساحرة. نظر إليها هكذا للحظات وهي تضحك بتلقائية وعفوية، ثم انتبهت إلى نظراته؛ فتمالكت نفسها وكفت عن الضحك قائلةً:

- **عفوًا، هيا لقد تأخرنا.**

ركب نور الدين الدراجة وركبت ناردين خلفه وانطلقا صوب الأرض، وفي الطريق كان الصمت هو سيد الموقف؛ فنور الدين يسترجع كل المواقف التي جمعته بناردين منذ أول لحظة وحتى هذه اللحظة محدثًا نفسه:

- **ما هذا الذي يحدث؟ ما هذه التصادفات التي جمعته بها؟ هل القدر قد رسم له طريقًا جديدًا وكتب له حكاية جديدة سوف يعيش صفحاتها مع هذه المشاغبة؟ ربما، ولكن أليست هذه امرأة؟ ألن تخونه في يوم وتتركه مثلما فعلت خطيبته السابقة؟ لا، لا يجب أن ينجرف إلى ذلك الشعور؛ فهي زميلة ليست أكثر.**

فى نفس لحظات الصمت تلك كانت ناردين هي الأخرى تحدث نفسها وتسأل نفس الاسئلة:

- **هل ستكون هناك حكاية تكتب هي ونور الدين سطورها؟ ولكن كيف؟ أليس نور الدين ذلك رجلًا؟ قد يكون مثل زوجها السابق أو ربما يكون أبشع؟ لا، لا يجب عليها أن تفكر في هذا الأمر مطلقًا، سوف تكتفى بكونه زميلًا وأنيسًا في غربتها الموحشة فقط، إنما لن يكون حبيبًا وهذا هو الصواب.**

وصلا إلى الأرض، وبداخل كل منهما هذا القرار، إنهما زميلان ليس أكثر، وانصرف كلٌ منهما إلى أرضه، وبدأ اليوم والعمل طوال اليوم حتى المساء،

وعاد المزارعون إلى ديارهم، وغادرت ناردين بصحبة نور الدين إلى مسكنهما بنفس الوسيلة التي ذهبا بها إلى الأرض صباحًا، الدراجة البخارية وبنفس الصمت، حتى وصلا إلى مسكنهما، كانا متعبين من شدة العمل، فتناولا طعامًا خفيفًا. قالت ناردين:

- **تصبح على خير، أنا سوف أنام لاني متعبة جدًّا، واليوم كان شاقًا.**

فرد نور الدين:

- **وأنتِ من أهله، أنا أيضًا متعب، وسوف أنام على الفور.**

بالفعل دخل كلٌ منهما إلى غرفته، فأخذ نور الدين حمامًا دافئًا، وبدل ثيابه ثم استلقى في فراشه وهو يفكر بما حدث طوال اليوم، ثم سرعان ما غط فى نوم عميق.

فى المقابل بدلت ناردين ثيابها بعد أن أخذت هي الأخرى حمامًا دافئًا، واستلقت في فراشها، وبعد لحظات من التفكير فيما حدث ذهبت فى نوم عميق. ظل الوضع كذلك لمدة شهران، وفي إحدى الليالي وبعد منتصف الليل هاجم ناردين ألمًا فظيعًا في بطنها؛ فاستيقظت من شدة الالم، بحثت عن مسكنات؛ فوجدت في حقيبتها، تناولت قرصًا من الأقراص المسكنة وهي تتألم، ثم عادت إلى فراشها على أمل أن يخف تأثير الألم بعد المسكنات، لكن على العكس؛ فلقد ازداد الألم وبشدة فلم تتحمل، أخذت تصرخ من شدة

الألم حتى سمع نور الدين صوتها، فاستيقظ مفزوعًا، هرول إلى غرفتها وهو يطرق بابها في فزع قائلًا:

- **ناردين، ناردين، ما بك؟ افتحي هذا الباب، ماذا يحدث؟ ناردين، ناردين.**

سمعته وهو يصرخ عليها فزعًا، لكنها لم تستطع أن تجيبه من شدة الألم، ولم تستطع أن تتحرك من مكانها، ظلت تصرخ وتصرخ، ونور الدين فى الخارج لا يعرف ماذا يحدث؟ ولا ماذا يفعل؟ ثم هداه تفكيره؛ فأسرع إلى المطبخ وأحضر سكينًا وعاد إلى باب غرفة ناردين، أخذ يحاول فتحه بالسكين، وبعد محاولات كثيرة فتح الباب بالفعل، فدخل مسرعًا، وجدها تمسك بطنها بيديها وهي تصرخ من شدة الألم فى فراشها؛ فاستنتج أن ما يحدث لناردين قد يكون التهابًا في الزائدة الدودية، حاول أن يتمالك نفسه، ثم اتصل بالهاتف بمدير المشروع، ولكن للأسف كانت الخطوط مقطوعة نتيجة الظروف الجوية الصعبة؛ فلقد كانت هناك نوة، والطقس في منتهى السوء. لم يجبه أحد، نظر إلى ناردين في شفقة قائلًا:

- **تحملي يا ناردين، إن شاء الله سوف تمر هذه الأزمة، اطمئني؛ فانا معك ولن أتركِ.**

نظرت إليه ولم تنطق بكلمة، فقط تتألم وتبكي، تذكر نور الدين ذلك الرجل الذي يبعد عنهما بضعة أمتار، الشيخ حامد فقال:

- **هيا، لن ننتظر أكثر من ذلك، ربما تكون الزائدة وهذا أمر خطير.**

وكانت ناردين بزي النوم، ترتدي بيجاما، وشعرها ينساب على وجهها، فأحضر نور الدين معطفًا من خزانتها ولفها به ثم حملها على يديه وهو يجري مسرعًا. أخذ الدراجة البخارية ووضعها أمامه، وانطلق مسرعًا إلى الشيخ حامد يطلب منه المساعدة والنجدة، وبالفعل أرشده الشيخ حامد إلى طريق مختصر يصله إلى المستشفى، فدخل نور الدين وهو يحمل ناردين على يديه وهي في شدة التعب والألم، ثم صرخ قائلًا:

- **أرجوكم ساعدونى بسرعة.**

فأتى طبيبًا وقال:

- **ماذا يحدث؟**

فأجابه نور الدين في فزع قائلًا:

- **أرجوك ساعدني؛ فهي تتألم بشدة.**
- **حسنًا، حسنًا.**

- وأشار إلى الممرضين أن يحضروا المريضة إلى غرفة الاستقبال فورًا، وبعد الكشف، وبينما نور الدين في الخارج ينتظر فى ترقب وقلق خرج الطبيب وقال:

- **هل أنت زوج المريضة؟**

فصمت نور الدين أمام هذا السؤال ولم يعقب، فقال الطبيب:

- **علينا إجراء عملية فورًا؛ فالزائدة على وشك الانفجار، ويجب عليك أن توقع على إقرار العملية.**

فأجابه نور الدين في انزعاج بدا جليًا:

- **حسنًا، حسنًا، أوقع، أرجوك افعل اللازم وأنقذها.**

فقال:

- **لا تقلق، إن شاء الله ستخرج زوجتك سَالمة.**

ودخلت ناردين إلى غرفة العمليات، بينما نور الدين ينتظرها في الخارج.